



Review of Literary Narcissism in Strengthening the Moral-Educational Models of Contemporary Arab Poets Based on Heinz Kohat's Own Theory (The Case Study of Mahmoud Sami Baroudi)

Soudabeh Brojji¹, Qassem Mokhtari^{2*}, Mahmoud Shahbazi², Mohammad Jurfi³

Abstract

Today, when cultural neglect and invasion in the form of virtual attractions cast a shadow on people's thoughts, the moral-educational mission of poetry takes on a more important role in the field of literature. Although the critics of Wadiban have different theories in this field; Some believe that art should only serve morality, and on the other hand, there are radical artists who expect only art from a work, and another group believes that there is a mutual relationship between words and images. But it must be said that poetry is not just a bunch of similes, metaphors, and images, and if it does not carry a message, it will not be sealed with eternity. While emphasizing the interaction between art and morality, the author's goal is to investigate the role of narcissism in strengthening behavioral-ethical patterns in contemporary Arabic literature based on the method of content analysis and description with reference to Mahmoud Sami el-Baroudi's poetry. Since our behavior with others is a reflection of our behavior with ourselves; The concepts of narcissism and self-compassion play an important role in creating a sense of empathy and healthy living; Therefore, the subject of study is the narcissistic poets of this period. Research shows that themes such as chastity, anti-tyranny and efforts to awaken the mind, patriotism, belief in death and resurrection, call to jihad and not remaining silent in the face of oppression in the poetry of contemporary Arab literary narcissists have a higher frequency than There are other eras in the history of Arabic literature.

Keywords: Literary Narcissism, Behavioral and Moral Model, Kuhat, El-Baroudi

1. PhD student, Department of Arabic Language and Literature, Arak University, Arak, Iran

2. Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Arak University, Arak, Iran

3. Assistant Professor, Department of Arabic Language and Literature, Arak University, Arak, Iran

Correspondence Author: Qassem Mokhtari

Email: q-mokhtari@araku.ac.ir

How to Cite: Broji S, Mokhtari Q, Shahbazi M, Jurfi M., Review of Literary Narcissism in Strengthening the Moral-Educational Models of Contemporary Arab Poets Based on Heinz Kohat's Own Theory (The Case Study of Mahmoud Sami Baroudi), Quarterly Journal of Contemporary Literature Studies, 2023;15(59):92-118.



بررسی خودشیفتگی ادبی در ارائه‌ی الگوهای تربیتی - اخلاقی در شعر شاعران معاصر با تکیه بر نظریه‌ی «خود» از هاینز کوهت (نمونه مورد پژوهانه؛ محمود سامی البارودی)

سودابه بروجی^۱، قاسم مختاری^۲، محمود شهبازی^۳، محمد جرفی^۴

چکیده

امروزه که تغافل و تهاجم فرهنگی در قالب جاذبه‌های مجازی بر افکار مردم سایه افکنده است، رسالت اخلاقی - تربیتی شعر در حوزه‌ی ادبیات نقش مهم‌تری به خود می‌گیرد؛ اگرچه منتقدان و ادیبان نظریه‌های متفاوتی در این زمینه دارند؛ اما باید گفت شعر فقط مشتی از تشبیهات و استعارات و تصویرپردازی‌ها نیست و قطعاً حامل یک پیام اخلاقی و عاطفی است. هدف نگارنده ضمن تأکید بر وجود تعامل میان هنر و اخلاق، بررسی نقش خودشیفتگی در ارائه‌ی الگوهای رفتاری - اخلاقی در ادبیات معاصر عربی، براساس شیوه‌ی تحلیل و توصیف محتوا با استناد به شعر محمود سامی بارودی است؛ نتایج تحقیق حاکی از آن است که آن تحول عظیمی که در ادب معاصر عربی رخ داد به عرصه‌ی خودشیفتگی نیز راه یافته و آن را از محوریت خودخواهی و عطش برای دیده شدن دور و وارد قلمرو آرمان شهری و ترسیم مدینه‌ی فاضله کرده است؛ لذا با بررسی اشعار محمود سامی البارودی، شاعر بزرگ نارسیسم معاصر عربی، دریافت شد که مفاهیمی چون ستودن شجاعت و قهرمانی‌ها، فقرستیزی، داشتن روحیه‌ی جهاد و شهادت طلبی، عدم دلبستگی به دنیا و لذات آن، عفت و پاکدامنی، پرهیز از سخن چینی، دروغ و اسراف، وفاداری به عهد و پیمان، صبر و بردباری، بخشش و کرم؛ از جمله مهمترین دستاوردهای خودشیفتگی ادبی سالم در شخصیت شاعر است که ریشه در استقلال طلبی و آرمان‌گرایی وی دارد و از آن‌جا که اوتحصیل‌کرده‌ی مدرسه‌ی نظام فرانسه بود و به زبان و ادبیات انگلیسی تسلط

۱. دانشجوی دکتری، گروه زبان و ادبیات عرب، دانشگاه اراک، اراک، ایران

۲. دانشیار، گروه زبان و ادبیات عرب، دانشگاه اراک، اراک، ایران

۳. استادیار، گروه زبان و ادبیات عرب، دانشگاه اراک، اراک، ایران

ایمیل: q-mokhtari@araku.ac.ir

نویسنده مسئول: قاسم مختاری

داشت؛ بنابراین خودشیفتگی او حاصل از فرافکنی و تصاویر کذب که از نفسی سریع الانفعال برخاسته باشد نیست، بلکه پارادوکسی زیبا از تلفیق ذوق و روح عزتمند اوبا حس همدلی و خودشفقت‌ورزی مخلصانه برای وطن و مردم خویش است.

واژگان کلیدی: خودشیفتگی ادبی، الگوی اخلاقی - تربیتی، هاینز کوهت، بارودی

ارجاع: بروجی سودابه، مختاری قاسم، شهبازی محمود، جرفی محمد، بررسی خودشیفتگی ادبی در ارائه‌ی الگوهای تربیتی - اخلاقی در شعر شاعران معاصر باتکیه بر نظریه‌ی «خود» از هاینز کوهت (نمونه مورد پژوهانه؛ محمود سامی البارودی)، دراسات ادب معاصر، دوره ۱۵، شماره ۵۹، پاییز ۱۴۰۲، صفحات ۱۱۸-۹۲.



دراسة النرجسية الأدبية في تقديم النماذج التربوية - الأخلاقية في أشعار الشعراء العرب المعاصرين بالاعتماد على نظرية «الذات» لهاينز كوهوت (محمود سامي البارودي أنموذجاً)

سودابة بروجي^١، قاسم مختاري^{٢*}، محمود شهبازي^٣، محمد جرفي^٢

الملخص

اليوم إذ يلقي الإهمال والغزو الثقافي في إطار عوامل جذب افتراضية، بظلاله على أفكار الناس، تتخذ المهمة الأخلاقية - التربوية للشعر في ميدان الأدب، دوراً أكثر أهمية، رغم اختلاف آراء النقاد والأدباء بهذا الشأن، إلا أنه يجب القول بأن الشعر ليس مجرد حفنة من التشبيهات والاستعارات والصور، ولا شك أنه يحمل معه رسالة أخلاقية وعاطفية. يتمثل هدف الكاتب، إلى جانب تأكيده على وجود التفاعل بين الفن والأخلاق، بدراسة دور النرجسية في تقديم النماذج السلوكية - الأخلاقية في الأدب العربي المعاصر، وفقاً لمنهج تحليل المحتوى ووصفه استناداً إلى شعر محمود سامي البارودي. تشير نتائج البحث إلى أن ذلك التطور الضخم الذي حدث في الأدب العربي المعاصر، شق طريقه إلى مجال النرجسية أيضاً، فأبعده عن التركيز على النرجسية والتعطش لحب الظهور، وأدخله إلى الحدود الطوباوية وتصوير مدينة فاضلة، ولذلك ومع استعراض أشعار محمود سامي البارودي، الشاعر العربي النرجسي المعاصر الكبير، اتضح أن مفاهيم مثل الإشادة بالشجاعة والبطولات، ومقارعة الفقر، وامتلاك الروح الجهادية والاستشهادية، وعدم التعلق بالدنيا وملذاتها، والعفة والحشمة، وتجنب النميمة والكذب والإسراف، والوفاء بالعهد، والصبر والجلد، والسخاء والكرم، هي من جملة أهم مكاسب النرجسية الأدبية الصحية في شخصية الشاعر، والتي تنجذب في روح الاستقلالية والمثالية لديه، وبما أنه تخرّج في المدرسة العسكرية بفرنسا وكان ملماً باللغة الإنجليزية وأدائها، فإن نرجسيته ليست نتاج الإسقاط النفسي والصور الكاذبة المنبعثة من نفس سريعة الانفعال، بل إنها مفارقة جميلة تتجلى في المزج بين ذوقه الرفيع وروحه العزيزة، وبين الشعور بالتعاطف والعطف الذاتي المخلص تجاه وطنه وشعبه.

الكلمات الرئيسية: النرجسية الأدبية، النموذج الأخلاقي - التربوي، هاينز كوهوت، البارودي

١. طالبة الدكتوراه، في قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة اراك، اراك، ايران
٢. أستاذ مشارك، في قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة اراك، اراك، ايران
٣. أستاذ مساعد، في قسم اللغة العربية وآدابها، بجامعة اراك، اراك، ايران

المقدمة

هذه الدراسة تقدم نقداً وتحليلاً لموضوع التّرجسيّة الأدبيّة في تاريخ الأدب العربي المعاصر ، يمثل النقد الأدبي واحداً من المجالات الرئيسية التقليدية للحركة الأدبية والثقافية عموماً. وكان النقد الأدبي لدى العرب يتركز بالدرجة الأولى على اللغة وتركيباتها وسياقاتها، ثم أخذ يتوسع الى المعاني والصور البلاغية ثم توسع وتفرغ في اتجاهات كثيرة بعضها يخرج عن مفهوم النقد الأدبي بصورة الضيقة. وإنّ النقد الأدبي كان دائماً نتاجاً للحياة الاجتماعية وللنشاط الثقافي والفكري والسياسي العام، باعتبار أن الأدب ذاته هو حصيلة لكل هذه المفردات متأثر بها، وهو مرآة لها بطرائق مختلفة (انظر الى ممتحن، مهدي ونرجس توحيدى فر، ١٣٩٢: ٩١-١٠٢). إن الالتزام بالمبادئ السلوكية - الأخلاقية هو من تراث مدرسة أهل البيت عليهم السلام، ولهذا، كان دأب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أن يؤنب بعض الشعراء الجاهليين بسبب نشر المحتوى الإباحي، ذلك لأن الثقافة الجاهلية كانت متجذرة في التقاليد المغلوطة والعصبيات الطائفية الشديدة ووصف مجالس اللهو واللعب والمجون. كان هذا الأمر من الأهمية بحيث أن «المقطع الأخير من سورة الشعراء قرّر بشأن الشعر والشعراء، فذكر أن الشعراء إذا كانوا من الصالحين ولهم أعمال طيبة وصالحة، وعملوا بما يقولون، فإن الآيات الثلاث الأخيرة من سورة الشعراء لن تنطبق عليهم. فكان الأئمة الأطهار عليهم السلام بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم يستعينون بهذا الاستثناء القرآني، فيكرّمون الشعراء الملتزمين المعاصرين لهم بشتى أنواع التكريم» (كلانترى، ٢٠٠٧: ٩٢). أما القيم الأخلاقية والسلوكية، فإنها تشكل جزءاً مهماً من حياة البشر، ولها تأثير ملحوظ في جودة علاقاته مع الآخرين. يؤكّد دين الإسلام بشكل خاص على هذه المقولة المهمة، بحيث قدّم مكارم الأخلاق على أنه الهدف من وراء مبعث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهم واجباته: «إنما بُعثت لأتمم مكارم الاخلاق» (المجلسي، ١٠٠٩، ج ٦٨٢: ٣٨٢). ومن هنا، فإن التربية الأخلاقية لا تنحصر فقط في مجال الأخلاق وعلم الاجتماع أو علم النفس فقط، بل تمتدّ لتشمل شتى المجالات، ومنها ميدان الأدب و«أفلاطون هو أول من اعتمد على القيم الأخلاقية في الأدب» (إسلامي ندوشن، ١٩٩١: ٢٢٦). «الماهية الأساسية للأدب التعليمي هي الخير والحقيقة والجمال» (شفيعي كدكني، ١٩٩٣: ٨١). الشعر الأخلاقي هو شعر «يشرح للقارئ معرفة ما لكي يعرض القضايا الأخلاقية أو الدينية أو الفلسفية بشكل أدبي» (شميسا، ١٩٩٧: ٢٤٧). «في آفاق أوسع، يمكن القول: كل عمل فني، يعطي درساً للقارئ أو الملتقي، ولهذا فهو معلّم» (يلمهها، ٢٠١٦: ٦٧). هناك اختلاف كبير في وجهات نظر الأدباء والنقاد في مجال الأدب والأخلاق، حول مهمة الشعر، وكما سبق وقلنا، فإن طائفة من دعاة الأخلاق المتطرفين، يعتبرون

المهمة الوحيدة للشعر نشر المفاهيم الأخلاقية، ويقع في مواجهتهم، طائفة أخرى من دعاة الفن المتطرفين، يرون أن الفن لا يعدو أن يكون صورة شاعرية، «فإن هذه الرؤية ترمي إلى أن التجربة الفنية هي أعظم تجربة يملكها البشر، ولا شيء يجب أن يمنعها. من هذا المنظور، لا أهمية للأعمال الفنية الفرعية غير المرغوب فيها، مقارنة مع التجربة المهمة التي يحققها الفن» (تولستوي، ١٨٩٧: ١٠٩). هناك طائفة ثالثة معتدلة يعتقدون بأن الشعر حصيلة المزج بين الفن والأخلاق و«تحمل القيم الجمالية والأخلاقية، أدواراً متباينة لكي تمثلها، إلا أن أيّاً منها لا تعمل مستقلة عن الأخرى، ومن هنا، فإن الفن والأخلاق مرتبطان» (كانت، ١٩٤٩: ١٣٣). الشعر هو فن الكلام، والعامل الوحيد الذي يمنحه ماهيته هو الإلزام بمراعاة المبادئ الأخلاقية - السلوكية والمثالية. توجد علاقة طردية بين الرفاه السلمي والنرجسية الصحية، وكلما أحب الإنسان نفسه واحترم نفسه ومعتقداته ومثله، أقام علاقة أفضل وأكثر عقلانية مع الآخرين. وهذه القضية المهمة نلمسها في شعر الشعراء النرجسيين. تتجلى الخصائص والمكارم الأخلاقية والسلوكية ظهوراً أوضح في شعر الشعراء النرجسيين؛ وعليه فبقراءة سطحية لأعمال هذه المجموعة من الشعراء، تطالعنا حالات من الإعجاب بالنفس تصطبغ بصبغة الحكمة والعظة، وكلما اقتربنا من العصر المعاصر للأدب العربي، زال عنصر الأنانية ومركزية الذات تدريجياً عن أفكار النرجسيين الفنيين وأقلامهم، واتخذ طابعاً قومياً. إذا كانت هواجس النرجسية الأدبية في العصر الجاهلي أو العباسي بشكل جزئي، لفت الانتباه والتعطش لحب الظهور وكسب التأييد، فإن الاهتمامات في العصر المعاصر تنصب على يقظة الأذهان وبعث الأفكار والوطنية، ومن هنا، فقد اختار الباحث العهد المعاصر لدراسة دور النرجسية بالنظر إلى النموذج الأخلاقي - السلوكي. قام الكاتب، إلى جانب تقديمه تعريفاً موجزاً للنرجسية وأنواعها ومكانتها في الأدب ودورها في تعزيز النماذج الأخلاقية - السلوكية للشعراء النرجسيين العرب المعاصرين، قام بتبيين تجليات الالتزام الأخلاقي في شعر البارودي، لكي يجيب، من هذا المنطلق، إجابة مستدلة على هذه التساؤلات:

- ١- ما هي العلاقة بين النرجسية والشعر الأخلاقي؟
- ٢- ما هو دور النرجسية الأدبية في تقديم النماذج السلوكية - الأخلاقية لدى الشعراء النرجسيين العرب المعاصرين؟
- ٣- ما هو التأثير الذي تركه البارودي باعتباره شاعراً مؤثراً في فترة النهضة، على الحركة الأدبية ونشر المفاهيم التربوية والأخلاقية، من خلال صورته الشعرية؟

أبحاث سابقة

في الدراسات التي تحويها الكتب والمقالات والرسائل الجامعية وغيرها من النصوص العلمية في مجال النرجسية وأبعادها المختلفة، بقي البحث والتنقيب عن النرجسية الأدبية في تجليات الالتزام الأخلاقي في شعر الشعراء النرجسيين مغفولاً عنهما، ولذلك، انبرى الباحث للحصول على إجابة شافية ومستدلة على أسئلة البحث من خلال دراسة هذا الموضوع. الأعمال والأبحاث المتحصلة التي لها صلة بموضوع النقاش هي على النحو الآتي:

ياسر هوشيار وفيروز حريجي، في مقالهما «ملاحم الرومانسية في شعر محمود سامي البارودي»، مجلة دراسات الأدب المعاصر، تتناول أحد مظاهر التجديد في شعر محمود سامي البارودي وهي الرومانسية. البارودي بحكم حياته تأثر بمذهب الرومانسي وخطأ فيه خطوة الرومانسيين. لكنّه لما تسود عليه النزاعات المختلفة من الكلاسيكية والواقعية تأتي رومانسية أحياناً غير واضحة مما يضطر القارئ إلى امعان النظر الطويل لكشف الرومانسية في أشعاره ومن أهم المضامين الرومانسية التي تجلت في أشعاره هي الطبيعة، الحب والحنين، الدعوة إلى العزلة والاعتراب.

حسين بايندة (٢٠١٦) في مقاله «كريستوفر لاش وثقافة النرجسية» إنما يدرس النرجسية من ناحية أبعادها السيكولوجية والاجتماعية، ويعتبر لفظة النرجسية استعارة لوصف ظروف الإنسان المعاصر، وبعد تقديمه تعاريف للنرجسية، يتناول تحليل آراء المنظرين المتأخرين حول النرجسية الحديثة، ثم يبيّن فيما سيتبع من البحث، وجوه الاختلاف والاشتراك بين منظرين أمثال فروم^١، وفرويد، وميلاني كلاين^٢، وأوتو كيرنبيرغ^٣، وإيلين ويليس^٤ حول النرجسية.

سيد مهدي مسبوق وحميد آقاجاني (٢٠١٥) في مقالهما «النرجسية والإعجاب بالنفس في أشعار خاقاني وبشار بن برد» إلى جانب تقديمهما بعض التعاريف لمفردة النرجسية، يقومان بتبيين ماهية الإعجاب بالنفس وأسبابه في أشعار الشعراء المشار إليهما، ويستعرضان وجوه الاشتراك والاختلاف بينهما، ويحلّان القيم السائدة على الأدبين العربي والفارسي.

فائزة عرب يوسف آبادي وعبد الباسط عرب يوسف آبادي (٢٠٢٠) في مقالهما «التحليل النفسي لاضطراب النرجسية في شعر أبي فراس وخاقاني بناء على نظرية كريستوفر لاش» يدرسان أهم الخصائص النفسية الخاصة بالنرجسية في شعر

1- Erich Fromm
2- Melanie Klein
3- Otto Kernberg
4- Ellen Willis

الشاعرين المذكورين استناداً إلى نظرية ونموذج كريستوفر لاش، ومن خلال دراستهما هذه، يقومان بتبيان أبرز المكونات السيكولوجية حول النرجسية، ويتمثل أهمها بجنون العظمة، والتهرب من المجتمع، والشكوى.

نوافعة (٢٠١٣) في كتابه «النرجسية في الشعر العربي، دراسة في شعر عمر بن أبي ربيعة ونزار قباني» يستعرض الأشعار الغرامية للشاعرين، ويبين خصائصهما السيكولوجية من حيث الإعجاب بالنفس وجنون العظمة والسعي لاحتقار الخصم، ويتوصل إلى نتائج مشتركة فيما يتعلق بالخصائص الروحية والنفسية للشاعرين.

حسناة أقدح (٢٠١٣) في مقالها «النرجسية وتجلياتها في غزل ابن زيدون» إلى جانب تقديمها بعض التعاريف لظاهرة النرجسية، تتوصل إلى نتيجة مفادها أن معظم أشعار ابن زيدون تتعلق بالثناء على نفسه واعتبار نفسه كريم المحتد، وتُعتبر النرجسية جزءاً لا يتجزأ من شخصية الشاعر.

كافي آباد توكلي وآخرون (٢٠١٥) في مقالهم «دراسة مقارنة للنرجسية في شعر خاقاني والمثنوي» يرون أن سبب النرجسية لدى الشاعرين المشار إليهما يعود إلى مركبات النقص والفرغات التي لها جذور في أيام الطفولة لدى الشاعرين.

مسبوق وآخرون (٢٠١٥) في مقالهم «النرجسية والإعجاب بالنفس في أشعار خاقاني وبشار بن برد» يدرسون جذور ظهور النرجسية في شعر الشاعرين، ويقومون بتبيين الثقافة والقيم السائدة على المجتمعين الإيراني والعربي بشكل مقارن. باعجري وتركشوند (٢٠١٧) في مقالهما «النرجسية في شعر أحمد صافي النجفي» يتناولان تحليل أسباب وجود الإعجاب بالنفس في شخصية الشاعر، ويستنتجان أن حياة الشاعر الشاقة والملينة بالمصاعب والنقائص التي كان يعاني منها في صباه، أصابته بالنرجسية كاضطراب شخصية.

عبدالكريم رشيدان (٢٠٠٦) في مقاله «ثقافة النرجسية» يدرس الطبقات المختلفة للنرجسية في رؤية كريستوفر لاش، وبعد ذلك، يبين العناصر التي تنقصها رؤيته.

كريس هيدجيز (٢٠٠٩) في مقاله «كيف تتغلب النرجسية على الواقع؟» يشير إلى الجوانب الثقافية والاجتماعية لحياة المشاهير الأمريكيين، ويقوم بتبيين الجوانب غير الإنسانية لهذه الظاهرة، ويحاول أن يُظهر كيف تعمل ظاهرة النرجسية على تفرغ الفرد من فردانيته.

محمد حسن أمرائي وجهانغير أميري (٢٠١٦) في مقالهما «تداعيات إثبات الذات والنرجسية في شخصية أبي فراس الحمداني وروميته، في ضوء نظرية هاينز كوهوت» يقدّمان تعريفاً للنرجسية وترجمة لحياة أبي فراس الحمداني، ويوضّحان

الجوانب المختلفة للإعجاب بالذفس في شخصية الشاعر بالاعتماد على آراء هاينز كوهوت، ويستنتجان أن عنصر النرجسية قد كان موجوداً بالفعل في شخصية أبي فراس.

ضرورة البحث وأهميته

كما نعلم، فإن الإعجاب بالذفس قد شمل معظم المضامين في شعر الأدب العربي، ولكن لم يخضع هذا العنصر السيكولوجي كما ينبغي، لتحليل إيجابياته وسلبياته في ميدان الأدب العربي، والقلائل الذين تناولوا تحليل النرجسية في شعر قلة من الشعراء العرب، إنما أظهروا في الغالب، جوانب سلبية وفسادة لهذا الموضوع، تُعرف بـ «الاضطراب النفسي»؛ ولهذا، يقوم الكاتب إلى جانب تأكيده على أهمية الجانب الأخلاقي في الشعر، بتبيين دور النرجسية والعطف الذاتي في سياق تقديم النماذج الأخلاقية - التربوية للفنانين النرجسيين، وبناء على هذا، يعتبر الباحث أنه تكمن ضرورة كتابة هذا المقال وأهميته في التنويه بأمرين مهمين:

- ١- الاهتمام بالمهمة الأخلاقية والتربوية للشعر ومكانتها المهمة في تأصيل ثقافة الرفاه السلمي في المجتمع.
- ٢- الاهتمام بدور النرجسية الأدبية الصحية والتعاطفية باتجاه تقديم النماذج السلوكية الأخلاقية في شعر النرجسيين من الأديباء.

فرضيات البحث

١- رغم أن الأدب وخاصة الشعر، يرتبط ارتباطاً عميقاً للغاية بالجوانب السيكولوجية والشخصية للشاعر، إلا أن بعض الخصائص السيكولوجية مثل «النرجسية» والتي يشار إليها بـ «اضطراب الشخصية»، تحمل جوانب ووجوهاً معيارية تتسبب بنقل الثقافة الصحية عبر الشعر إلى المتلقي، ذلك لأن كيفية تصرفنا مع أنفسنا تنعكس على جودة صلاتنا بالآخرين، فللنرجسية علاقة طردية مع الشعر الأخلاقي، والتي إذا تم التعبير عنها في الاتجاه الصحيح، تؤدي إلى انشاء علاقات سلمية مع الآخرين، والعكس صحيح، فإذا اتخذت طابعاً أنانياً، يجزّ الشاعر إلى الانحلال الأخلاقي والانهيار الأدبي.

٢- الشعر نتاج الأدبية، والأدبية متجذرة في العاطفة، والخيال، والتصوير، والانزياح، والاستخدام الصحيح والكافي للمحسنات اللفظية والمعنوية، ومن هنا، فإن العمل الأدبي له قوة نفوذ أكثر مقارنة مع نص اعتيادي. مع ملاحظة ما تقدم، فإن النرجسية الصحية إن كانت فنية ولها منشأ أدبي، تلعب دوراً فعالاً في الإيحاء بالمفاهيم الأخلاقية - التربوية للشعر، ذلك لأنها تدعو إلى صفات كالمثالية، واستقلال الشاعر النرجسي وأنفته. إن الشخص النرجسي الذي يرى نفسه أسمى من الفضائع

والأفعال الدنيئة، هو عزيز وهادف، ولا ينفك يسعى سعياً حثيثاً وبروح تعاطفية، للارتقاء بنفسه وبأبناء جنسه.

٣- الشاعر النرجسي في العهد المعاصر، يحمل هموم وطنه ويخاف على مصير وطنه وشعبه، وهذا موضوع يطالعهنا في شعر البارودي الذي يأخذ على عاتقه مهمة تربية المجتمع عبر الثناء على نفسه وبسالته وشجاعته وقدرته على البلاغة، ويسخط على الغفلة والسكوت في وجه الظلم، ويدعو الجميع إلى التبصر والكفاح، ولا يزال يسعى جاهداً لكسب السمعة الحسنة والخالدة، ويتحدث عن العفة والحشمة والسلام والصدافة.

منهج البحث

يقوم الكاتب إلى جانب تقديمه تعريفاً موجزاً للنرجسية وأنواعها ومكانتها في الأدب ودورها في تعزيز النماذج التربوية للشعراء النرجسيين العرب المعاصرين، يقوم بتطوير تجليات الالتزام الأخلاقي في شعر البارودي. يتمثل الهدف العام من هذا البحث أنه ومن خلال إجراء دراسات دقيقة على شعر محمود سامي البارودي، باعتباره شاعراً نرجسياً معاصراً، يتم إزالة الرؤية السلبية للبحث عن هذه الظاهرة السيكولوجية، ويجري التوعية بشأن جوانبها الصحية في المجتمع، ولذلك، فإن البحث المائل أجري باتباع باراديم التأويلية والمنحى النوعي والوصفي ومنهج دراسة الحالة، واستفيد من منهج المكتبات أو مراجعة النصوص بمنحى ممنهج من أجل جمع المعلومات. في الخطوة الثانية لمراجعة الكتابات العلمية، وبالنظر إلى أن مجتمع البحث وبيئة البحث (الجامعات والمنظمات و.. إلخ) والأدوار (الأستاذ والطالب الجامعي و.. إلخ) يتسمان بكثرة التنوع والاتساع، فقد حاول الباحث، وللحيلولة دون التحيز في اختيار المجالات أو قواعد البيانات، أن يستخدم كتباً تاريخية معتمدة وسيكولوجية عند مراجعته للكتابات، ولذلك، تجنّب الإتيان بنصوص متكررة وناقصة عند مراجعة الكتابات العلمية.

مفهوم النرجسية ومكوناتها

كما سبق وقلنا، فإن المفهوم السيكولوجي للنرجسية مأخوذ من أسطورة يونانية تحمل الاسم نفسه. فبموجب هذه الأسطورة، كان نرجس شاباً بهي الطلعة يتجاهل المشاعر الغرامية التي تُوجّه إليه، وهذا التجاهل ألقاه في ورطة خالدة. فذات يوم، كان عند بحيرة إذ شاهد محياه في الماء، فشغف بوجهه، وهو إذ لم يكن باستطاعته الوصول إلى هذا الوجه أو رفع عينيه عنه، نسي الأكل والشرب، وتجرر عند

البحيرة، فتحول شيئاً فشيئاً إلى زهرة سُمّيت باسمه (سميث، ٢٠٠٥: ٣٤٨). مصطلح النرجسية استخدمه عالم النفس الفرنسي الشهير، ألفريد بينيه^١ لأول مرة عام ١٨٨٧، ثم تناوله سيغ蒙德 فرويد^٢ بصورة ممنهجة عام ١٩١٠ (انظر: موللي، ٢٠١٣: ١٦٤-١٦٦). في تعريف شامل للمصطلح، يمكن القول «اضطراب الشخصية، النرجسية هو اضطراب مطرد يتميز بمركزية الذات، ونقص الشعور بالتعاطف مع الآخرين، والإحساس المبالغ فيه باعتبار الذات مهماً. وعلى غرار غيره من اضطرابات الشخصية، يؤدي هذا الاضطراب إلى نشوء نموذج سلوكي مستدام يؤثر سلباً على العديد من جوانب الحياة المختلفة، من العلاقات الاجتماعية والعائلية والمهنية» (قرباني، ٢٠٠٥: ١٢٤). على هذا الأساس، فإن أهم مكونات النرجسية هي: الانطوائية الحادة، والطموحات غير الواقعية، والتأرجح الشديد بين جنون العظمة وعقدة النقص، وعدم القدرة على معايشة الآخرين ومجالستهم، والحاجة الماسة إلى انتباه الآخرين ومدحهم، وتوقع تلقي معاملة خاصة من قبل المجتمع والناس، والحساسية المفرطة للنقد واعتبار النقد كهجمة شخصية، واختيار أهداف غير واقعية ووهمية، وتوقع اشتراك الآخرين مع الشخص في الآراء، وعدم القدرة على تحديد مشاعر الناس ورؤاهم والتعرف عليها، وحسد الآخرين ظناً منه أنهم يحسدونه، والحساسية الحادة لإساءات الآخرين ونقدهم (انظر إلى البحيري، ١٩٨٧: ٣٧ ونريمان، ٢٠١١: ٥٠ و٥١).

النرجسية في الأدب

«إن الذات في كل شخصية يشكل نواتها ومضمونها، ويعبر عن نمط معين من سلوكها وطريقة تفكيرها. من أنواع اضطرابات الشخصية، النرجسية التي تعني الميل المفرط للشخص إلى نفسه. الشخص المصاب بهذا الاضطراب غير متعاطف مع غيره ولكنه يحتاج إلى أن يُثنى عليه باستمرار. بما أن الشعر ينبعث من عمق أحاسيس الشاعر وعواطفه، يمكن أن يكون مرآة عاكسة لشخصية الشاعر وحالته النفسية» (عتيق، ١٩٧٢: ٢٩٥)، ولذلك، فإن الميل الذهني إلى مضمون معين، يُظهر الأصداء النفسية المختلفة للشاعر ويشكل علامة على معايير الشاعر وردود فعله وتصرفاته. تعمل دراسة هذه الحالات على استخراج الطبقات الخفية لشخصية الشاعر من ثنايا كلامه، وتميط اللثام عن لاوعيه وانجذباته الروحية (الحسماني ونجم، ١٩٩٠: ٤٢١)، وعليه، يمكن القول من منطلق التعاريف المذكورة بأن النرجسية تُعتبر نوعاً من «الحب المفرط للذات»، وإن النرجسية الفنية والأدبية، في رأي الباحث، هي أن الشعر بجميع ما له من المميزات البلاغية والأدبية، تتجلى فيه

1- Alfred Binet

2- Sigmund Freud

العلاقة بين الشخصية وعزة النفس وروح المثالية لدى الشخص، حيث يتمخض عن الانسيابية الفنية، ومن هذا المنطلق، يمكن القول بأن النرجسية من شأنها أن تكون خالية من أي تفرغ لعقدة النقص والغضب والعداء الشخصي والإعراب عن الاستنكار بالنسبة للغير، فنتحفنا بعمل فني ورسالة أخلاقية من خلال تقديم كلام أدبي فاخر.

تجليات الالتزام الأخلاقي في شعر محمود سامي البارودي

وُلد محمود سامي البارودي (١٩٠٤-١٨٣٨م. / ١٣٢٢-١٢٥٥هـ) في القاهرة، وهو من الشعراء المصريين المعاصرين، حيث كان يقرأ كتب الشعر والأدب لوحده، من دون أن يتلمذ على معلم. فبدأ منذ ريعان شبابه، وعلى خطى القدماء، بقرض الشعر، وكان شعره من النضج والقوة بحيث يضاهاي أشعار الشعراء في القرنين الثالث والرابع: خالياً من التكلف، وبديعاً، وحاملاً لمعان ثقيلة وألفاظ رائعة وأسلوب رصين. إلا أن أشعاره في أخريات أيامه، لم تكن أخاذة وقوية كثيراً بسبب خمود جذوة ذوقه وضعف ذاكرته. البارودي وإن لم يكن مبتكراً من حيث صياغة المعاني ولم يكن له إبداع في الأسلوب، إلا أنه امتاز بالبراعة في التعبير عن المعاني العميقة بألفاظ جميلة وبهيجة، وأحيا الفخر والملحمة والوصف في العصر المظلم للشعر والأدب، وإنه أول من أنشأ التجديد في الشعر العربي؛ والتجديد هذا يقوم على دعامتين: تجديد الأسلوب القديم في الشعر من حيث الجزالة والمثانة، وأن الشاعر يجب أن يجسد نفسه وشعبه وبيئته وعصره بشكل دقيق وصادق. ألف البارودي إضافة إلى ديوان أشعاره، كتاباً اسمه «مختارات البارودي»، وأورد في كتابه هذا مقتطفات من أشعار ثلاثين شاعراً من العصر العباسي في شتى الأغراض (بهروز، ١٩٨٠: ٤٣٨). «لقد ابتكر البارودي نوعاً من النقد الاجتماعي عبّر فيه عن عيوب المجتمع في إطار الفكاهة والهزاء وبصورة حية ولافتة للنظر، ثم دعا إلى القضاء على تلك العيوب. انتقاداته هذه تعيد إلى الأذهان شعراء عظاماً في العالم من أمثال شكسبير ومولير، كانوا يجسدون بروحهم الفكاهية، مساوئ النوع الإنساني ضمن شخصية واحدة أو أكثر في القصص» (آيتي، ٢٠٠٧: ٤٨٤). مع قراءة أشعار البارودي يمكن الاستنتاج بأن شعر البارودي أيضاً بمثابة دفتر وردت فيه حالاته الروحية وخصائصه الشخصية، بدءاً من روحه الحماسية والقتالية وانتهاءً بصيحاته الثملة وسعيه وراء الملذات، كلها انعكست في أشعاره، وإلى جانب هذه الخصائص، يمجج ديوانه بالنرجسية. يقول عبد المحمد آيتي: «كفى بالبارودي فضلاً أنه أيقظ الأفكار ودفع بها إلى حياة نابضة ظلت مختفية تحت طلال اللغة العربية. في مصر، كان أول من تآلق شعره وكأنه أمنية في أذواق الأبداء، فحوّل الركود الأدبي إلى حركة، ووضع من الأدب المثير، عينة كاملة أمام أعين الناس. وقد اقتبس هذه العينة

الكاملة من معاني عصره وأغراضه، والشكل الرصين والقديم للبيان والعروبة»
(المصدر نفسه: ٤٨٤).

الدعوة إلى الشجاعة وبعد النظر

وَأَسْتُ مَمَّنْ إِنْ دَجَا حَادَثٌ
جَرَدْتُ نَفْسِي لِطَلَابِ الْعُلَا
أَلْقَى زَمَامَ الْأَمْرِ أَوْ فَوْضَا
وَالسَيْفَ لِأَيُّرْهَبٍ أَوْ يُنْتَضَى
فَالْمَجْدَ يَدْرِي أَيُّ سَيْفٍ نَضَا
سَلَّ عَيْيَ الْمَجْدَ وَلَا تَحْتَشِمَ

(البارودي، ١٩٩٨: ٣٦٤)

إن البارودي ومن خلال الاستعانة بأسلوب الكناية، يمدح نفسه على تمتعه بالعزيمة والإرادة والشجاعة وبعد النظر، ويعلم بأن بلوغ الكرامات والأمجاد يتطلب سعياً حثيثاً وجهداً كبيراً، ومن هنا، يرى أن المجد والعلل أيضاً يعرفان البارودي، ولذلك، وعبر تشخيص السيف وتصوّر أن المجد والعلل يتقوهان بشجاعة البارودي، يدعو القارئ إلى الحوار مع مكارم الأخلاق، ويصرّح بأن الخصال الإنسانية الحميدة والفضائل تعرف البارودي وتعلم في أي معركة وبأي سيف وبسالة وروح قتالية حصل البارودي على هذه الفضائل. يرافق نرجسية البارودي، الوقار والأصالة، بمعنى أن القارئ لا يستاء ولا يمتعض من قراءة شعر الشاعر. إن النرجسية لدى بعض الشعراء النرجسين عادة ما تجافي المنطق، لدرجة تتحول إلى مجرد كذبة، إلا أن ثناء البارودي على نفسه ونرجسيته، وإن يصاحبها قليل من المبالغة، ليسا ببعيدين عن شخصية الشاعر، ذلك لأن البارودي كان معروفاً بين الناس بالشجاعة وفصاحة الكلام. إنه تعلم الأدب واللغة في رحلته إلى بريطانيا وفرنسا، وتدريب على المهارات القتالية في المدرسة العسكرية بفرنسا، وعليه، ليست نرجسيته مجافية للواقع.

الروح الحماسية والاستشهادية والجهادية

الملحمة هي من أقدم الأنواع الأدبية في الأدب العربي وأشدّها إثارةً، ما يدل على ثقافة الشعب وأدبه وحيويته؛ حيث تظهر البسالة والشجاعة، حيث يرد الحديث عن الكيان والوطن، وفي الحقيقة، تتعلق الملحمة بزمن بلغ فيه أفراد الشعب الوعي المنشود فيعبرون عن تاريخهم بما يتصل بتفسير العالم الابتدائي وعصر الخليفة. في الملحمة يقع الإنسان في مواجهة الآلهة والعالم المجهول، وهو في حالة معرفة العالم ويطلق تسمية على الذي يتعرف عليه. الملحمة هي حياة الإنسان في عالم مليئ بالأسرار. فليس لدينا الملحمة البطولية فحسب، بل الملحمة الفلسفية أيضاً، ولكن في أغلب الملاحم القديمة، يرد الكلام عادة عن ذكريات أبطال بذلوا جهدهم في سبيل

عظمة شعوبهم ومجدها (شميسا، ٢٠٠٧: ٦١). يقول لامارتين حول الملحمة: «الملحمة هي شعر الشعوب في زمن طفولتهم، حين امتزج التاريخ والأساطير، الخيال والحقيقة، والشاعر هو مورِّخ شعبه. في هذا النوع الأدبي، يتعامل الشاعر مع القصص الشفهية أو المكتوبة التي ورد فيها شرح البطولات والعواطف والمشاعر المختلفة الخاصة بالناس في عصر ما، ومظاهر الوطنية والتضحية ومقارعة ما يراه الشعب مثلاً للشرِّ والفساد. ينبغي لهذا النوع الأدبي أن يصف جميع ذلك كما كان، ولا يتدخل تدخلاً مباشراً فيما يصفه، ولا يحكم بنفسه على هؤلاء الأشخاص أو تلك الأحداث» (شميسا، ١٩٩١: ٦١).

وَأَسْرِي وَأَلْحَاطُ الْكَوَاكِبِ نَوْمٌ
لَدَى الْحَرْبِ إِلَّا رَيْثِمًا أَتَكَلَّمُ
نَهَيْتُ الْعِدَا وَالسَّرُّ عَرِيَانُ أَشَامُ
وَأَوِي إِلَى الصَّيْفَانِ وَاللَّيْلُ أَدْهَمُ
حُسَامٌ وَطَرْفٌ أَعْوَجِيٌّ وَلَهْدَمُ
لِسَانٌ وَبُرْهَانٌ وَرَأْيٌ مُحَكَّمُ
وَلَا بِالذِّي إِنْ أَسْكَلَ الْأَمْرُ يَفْحَمُ
كَعَرَبٍ لِسَانِي جِينٌ لَمْ يَبْقَ مُقَدَّمُ
وَإِنْ قُلْتُ حَيَّانِي سَبِيبٌ وَأَكْتَمُ

أَسِيرٌ وَأَنْفَاسُ الْعَوَاصِفِ رُكَّدٌ
وَمَا بَيْنَ سَلِّ السَّيْفِ وَالْمَوْتِ فُرْجَةٌ
أَنَا الْمَرْءُ لَا يَنْبِيهِ عَمَّا يَزُومُهُ
أَغِيرٌ عَلَى الْأَبْطَالِ وَالصَّبْحُ أَشْهَبُ
وَيَصْحَبُنِي فِي كُلِّ رَوْعٍ ثَلَاثَةٌ
وَيَنْصُرُنِي فِي كُلِّ جَمْعٍ ثَلَاثَةٌ
فَمَا أَنَا بِالْمَعْمُورِ إِنْ عَنَّ حَادِثٌ
لِسَانِي كَنْصَلِي فِي الْمَقَالِ وَصَارِمِي
إِذَا صَلَّتْ قَدْتَنِي فِرَاسٌ بِشَيْخَهَا

(البارودي، ١٩٩٨: ٥٤٩/٣)

إن تركيبي «أنفاس العواطف» و«ألحاط الكواكب» إضافة إلى تشخيص الأمور غير ذوات الروح فيهما، يدلان على استعارة جميلة استُخدمت للعاصفة والنجوم، والنفس والعيون، ونسب إليها الشاعر وصف النوم، في حين أن مفردة «النوم» في حد ذاتها «استعارة تصريحية» لانغمار النجوم مع بزوغ الفجر. يقوم البارودي بتجسيد السيف والقلم جنباً إلى جنب معاً في شعره، ويُظهر براعته في كلا المجالين، ولكن يرى في البيت الثاني من هذا القسم من أشعاره، أن قوة بلاغته تبلغ درجة تُباعد معها بين السيف والموت في معمة القتال، في حين أنه في الحرب، يكون الموت والسيف بعضهما بجوار بعض. في هذا البيت هو الآخر، هناك استعارة مكنية في تركيب «سَلِّ السَّيْفِ»، ذلك لأن الشاعر قد شبه السيف بنهر جارٍ، وكذلك في البيت، أسلوب «كنائية»، لأنه توجد إشارة إلى قوة البلاغة وتأثير كلامه. في البيت الرابع، يتصاحب الغضب والضجيج مع اللين والحنان والمودة، ويعتقد البارودي بأنه عندما يغيرون على العدو في معمة المعركة، تُؤوي تلك الروح العاصية على العدو عند الليل، الضيوف وأبناء السبيل، ولذلك، فإن أبرز المحسنات، أي المقابلة والطباق

يظهران عبر مواجهة الكلمات المتضادة «أغير وأوي» «على والي» «الليل والصبح» في هذا البيت، ويُظهران مفهومي البسالة واللين، بأفضل الموثقات وأحسن الألفاظ والأشكال. في البيت الثامن من هذا الشعر، يُلاحظ التوحيد بين النفوذ المحيّر لـ «السيف» و«الشعر» عند البارودي، حيث كلاهما قاطع، ولهما قوة نفوذ عالية. نظرة البارودي إلى الشعر نظرة معنوية وحسية، ولا تخدم نرجسية البارودي الأطماع الشخصية والتكسب والتدمير، فهذه النظرة المعنوية والإنسانية، تحمل فكرة ورسالة أخلاقيتين مهّدتا لنهضة عظيمة في الشعر. يقول ياكوبسن: «لا تن يانو، لا شكوفسكي، لا موكاروفسكي، ولا أنا، لم نعتقد بأن الفن دائرة مغلقة، بل على العكس من ذلك، فقد أظهرنا أن الفن قطعة من تنظيمات المجتمع، وعنصر تابع لغيره من العناصر، عنصر قابل للتغيير، ولهذا السبب، نهتم دائماً بالعلاقات الجدلية بين الفن وبين أي بنية اجتماعية أخرى. إن الذي نُؤكّد ونعتمد عليه ليس فصل الفن عن المجتمع، بل هو الحفاظ على الاستقلال الذاتي للجانب الجمالي للفن» (شفيعي كدكني، ٢٠١٢: ٣٩). يمكن القول بأن «حسن اختيار المفردات» و«الأدبية» أو على حد تعبير شفيعي كدكني «قوة استحضر الكلمات» (المصدر نفسه: ٧٨) «هو مسألة إثارة البنى الفنية. إن الوزن والقافية والرديف والتشبيه والاستعارة والجناس وجميع الأدوات الموجودة في الأعمال الأدبية، تفقد قدرتها ونشاطها تبعاً لـ «التكرار»، وواجب الكاتب والشاعر يحتم عليهما أن يَنشِطَ هذه البنى الفنية» (المصدر نفسه: ٦٠). يعتبر البارودي المعنى ذا قيمة خاصة، ومن وجهة النظر هذه، يشاطر دوستوفسكي الرأي، لأن كليهما يعيران انتباههما لوجود اللفظ والمحتوى في الشعر. «في كتابات دوستوفسكي، يقع الشكل والمحتوى أحدهما بجوار الآخر، ويسيران في خط متوازٍ» (المصدر نفسه: ٦٥).

ذم الحسد

الحسد من الحالات النفسانية التي يتمنى فيها الحاسد زوال النعمة عن غيره، والنار التي يشعلها الحسد، يصلى به الحاسد نفسه أولاً ثم المحسود ثانياً، وتُفقد وجود الحاسد الهدوء والسكينة. إن الحسد مرض نفسي خطير يصاب به أغلب الناس، وإنما يمكن لأصحاب الضمائر الحية فقط أن يكونوا بمعزل عنه. إن الحاسد يعرّض المحسود لخطر الفناء والعدم، ومعظم أفراد المجتمع يُصنّفون ضمن أحد الوضعين، وحينما تعرّض أغلب أفراد المجتمع للخطر، يُستبعد ديمومة الحياة وبقاؤها لدى ذلك المجتمع (صدر، ١٩٩٩: ٤١). ينشأ الحسد عن الأنانية، والأنانية تتبع النرجسية، وليست النرجسية عينها، ذلك لأن الشخص قد يكون نرجسياً، لكن للنرجسية هذه جذوراً في المثالية والكمالية لذلك الشخص النرجسي، وكذلك يمكن أن تهيب إصابة الشخص النرجسي بالحسد والغضب والكرهية والإساءة والسب.

لَكُنِّي غَرَضًا لِأَسْهَمِ حَاسِدٍ
مِنْ غَيْرِ مَا ذَنْبِ جَنِيثٍ، وَ إِنَّمَا
وَ أَرَى الْجَوَانِحَ مِنْ لَهَيْبِ عِدَائِي
بُغْضُ الْفَضِيلَةِ شِيمَةُ الْجَهْلَاءِ

(البارودي، ١٩٩٨: ٣ / ١٣١)

إن «مراعاة النظر» و«المذهب الكلامي» هما من جملة المحسنات المهمة المتوافرة في البيتين.

فَقَدْ يَحْسُدُ الْمَرْءُ ابْنَهُ وَ هُوَ نَفْسُهُ
وَرُبَّ سِوَارٍ ضَاقَ عَنِ حَمَلِهِ الْعَضُدُ

(المصدر نفسه: ١٣٣)

كذلك في هذا البيت، يوجد «المذهب الكلامي»، وكذلك «التشبيه الضمني»، لأن الشاعر يشبه الإنسان الحاسد بعضد لا يتحمل حتى وزن السوار، تماماً كالأب الحاسد الذي لا يقدر، من شدة حسده، على تحمل وجود ابنه على وجه الأرض. هناك «مجاز مرسل لغوي» بالعلاقة الكلية في مفردة «العضد»، لأن المراد بها هو المعصم أو الساعد، إلا إذا كان المقصود هو عصابة العضد، فحينئذ يكون معنى «العضد» حقيقياً.

الوفاء بالعهد

إِنِّي إِذَا مَا الْخَلُّ خَاسَ بَعْدِهِ
وَ إِذَا عَتَبْتُ عَلَيْهِ تَمَتُّشَ لَمْ يَعُدْ
بَعْدَ الْوِدَادِ فَلَسْتُ مِنْ أَصْحَابِهِ
عَنْ غَيْبِهِ لَمْ كَثُرَتْ لِعِتَابِهِ

(المصدر نفسه: ١١١)

كلا الشاعرين ومن خلال نَمَهما لنقض العهد، يعتبران أنفسهما ملتزمين بالعهد ويفخران بذلك، ويتوقعان من أصدقائهما ومعارفهما أيضاً أن يكونوا أوفياء بعهودهم.

ثبات الشخصية

وَلَلنُّجْحِ أَسْبَابُ إِذَا لَمْ يَفْزَ بِهَا
وَ مَا أَنَا بِالْمَعْلُوبِ دُونَ مَرَامِهِ
وَ مَا أُبْتُ بِالْجُرْمَانِ إِلَّا لِأَنَّي
أُودُ مِنَ الْإِيَامِ مَا لَا تُوَدُّهُ

فَإِنْ يَكُ فَارَقْتُ الرَّضَا فَلْبَعْدَمَا
أَبَى الدَّهْرُ إِلَّا أَنْ يَسُودَ وَضِيعُهُ
نَدَاعَتْ لِنَرْكِ النَّارِ فِينَا نُعَالُهُ
فَحَتَّامَ نَسْرِي فِي دِيَاجِيرِ مِحْنَةٍ
صَحِبْتُ زَمَانًا يُعْضِبُ الْحُرَّ عَبْدُهُ
وَ يَمْلِكُ أَعْنَاقَ الْمَطَالِبِ وَ غَدُهُ
وَ نَامَتْ عَلَى طُولِ الْوَتِيرَةِ أَسْدُهُ
يَضِيقُ بِهَا عَنْ صُحْبَةِ السَّيْفِ غِمْدُهُ

إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْفَعْ يَدَ الْجَوْرِ إِنْ سَطَطَتْ
وَمَنْ ذَلَّ حَوْفَ الْمَوْتِ كَانَتْ حَيَاتُهُ

عَلَيْهِ فَلَا يَأْسَفُ إِذَا ضَاعَ مَجْدُهُ
أَضْرَّ عَلَيْهِ مِنْ حِمَامٍ يُوَدُّهُ

وَأَقْتُلْ دَاءَ رُؤْيَةِ الْعَيْنِ ظَالِمًا
عَلَامَ يَعْيشُ الْمَرْءُ فِي الدَّهْرِ حَامِلًا
بِرَى الصَّيِّمِ يَعْشَاهُ فَيَلْتَدُّ وَقَعَهُ
إِذَا الْمَرْءُ لاقَى السَّيْلَ ثَمَّتْ لَمْ يَعْجُ
عَفَاءً عَلَى الدُّنْيَا إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَعْشَ

يُسِيءُ وَيُبْتَلَى فِي الْمَحَافِلِ حَمْدُهُ
أَيَفْرَحُ فِي الدُّنْيَا بِيَوْمٍ يَعْذُهُ
كَذِي جَرَبٍ يَلْتَدُّ بِالْحَاكِّ جَلْدُهُ
إِلَى وَزْرِ يَحْمِيهِ أَرْذَاهُ مَدُّهُ
بَهَا بَطْلًا يَحْمِي الْحَقِيقَةَ شَدُّهُ

(المصدر نفسه: ١/ ١١٥)

من أهم الرسائل الأخلاقية لهذا القسم من أشعار البارودي، تقصي الحقيقة، ومقارعة الظلم، وعدم السكوت في وجه اللاعدالة، وعدم القبول بالذلة والهوان، حيث أنه وبالرغم من توافر طابع الحكمة والعظة، يعتبر الشاعر نفسه منزهاً عن الاتصاف بهذه الأوصاف، وإنه يصدد ذم الذين يتسمون دائماً بهذه الخصائص الإنسانية الذميمة. في هذا الجزء، نتناول بالدراسة بعض المحسنات الأدبية الموجودة في هذه القصيدة للبارودي لكي نتمكن من الاطلاع أكثر على التجليات الأدبية لعنصر النرجسية لدى هذا الشاعر النرجسي:

* تقديم المسند على المسند إليه: في عبارة «للنَّجْح أسبابٌ» فقد تم تقديم المسند على المسند إليه بسبب إيجاد الشوق وإثارة حب الاستطلاع في ذهن المتلقي، لكي يتلهم المستمع لسماح ما تأخر (المسند إليه).

* تخصيص المسند إليه بالمسند: في عبارة «وما أنا بالمغلوب دوم مرامه» فقد اختص المسند إليه بالمسند حتى ينفي الشاعر حكم الهزيمة والفشل عن نفسه ويثبتته لغيره، والإتيان بـ «أنا» في مقام المسند إليه يدل على الحصر.

* المذهب الكلامي: في بيت «وما أُبْتُ بِالْحَرْمَانِ إِلَّا لِأَنْبِي أَوْدُ مِنَ الْأَيَّامِ مَا لَا تَوُدُّهُ»، يوجد المذهب الكلامي، ذلك لأن الشاعر يثبت مبدأ أخلاقياً هو عدم اليأس في مواجهة المشكلات، بالبرهنة العقلية، وهي أنه لا يخضع للحرمان والهزيمة، لأنه يحب مرارات الأيام مثلما يحب لذاتها.

* هناك أسلوب كناية في البيت الثالث الذي مرّ ذكره، لأن الشاعر يشير إلى العزيمة الراسخة ورباطة جأشه تجاه نواب الدهر.

* الإدماج والمذهب الكلامي: يشير الشاعر في بيت «فَإِنْ يَكُ فَارَقْتُ الرِّضَا فَلَبَعْدَمَا/ صَحِبْتُ زَمَانًا يُغْضِبُ الْحُرَّ عَيْدُهُ» إلى أنني ابتعدت عن الهناء والسعادة في أيام كان فيها العبد يثير حفيظة الإنسان المتحرر، وقد انقلب الموازين، فلا غرو أن حالي

أصبح هكذا. وتبعاً لسعي الشاعر لإثبات موقعه وإعطائه صورة اعتيادية عبر برهنة عقلية ومنطقية، يشير كذلك إلى المكانة الاجتماعية والسياسية والثقافية الحرجة لعصره أيضاً، ويُدرج في عمق كلامه تشبيهاً ضمنياً، وهو تشبيه نفسه بالإنسان المتحرر وتشبيه الدهر بالعبء، ووجه الشبه فيه هو الحط من قدر الدهر العاصي وأحداثه في مواجهة عزيمته التي لا تنتهي.

* هناك استعارة وكناية في مفردتي «الثعال» و«الأسد» في البيت السادس، حيث يُعتبران على التوالي، استعارة لـ «إنسان خادع وضعيف» و«إنسان شجاع وباسل»، وهذا البيت كناية عن الأوضاع السياسية والاجتماعية المتردية السائدة على عصر الشاعر، حيث أن الأسد مع ما له من قوة، أصبح راقداً وعاجزاً، وصار الثعلب ذا جاه وسلطة، والشاعر يعرب عن حسرته وحزنه لهذا الموقف، ويهدف من وراء إنشاد هذا البيت وذكر المسند والمسند إليه، إنذار الأناس الغافلين وتنبئهم وإيقاظهم.

* الاستبطاء والاستئناس بسبب الإنذار بالخطأ والسير على الطريق غير الصحيح وتضليل الآخرين، في بيت «فَحَنَّامٌ تَسْرِي فِي دِيَاجِيرِ مَحْنَةٍ/ يَضِيقُ بِهَا عَنْ صُحْبَةِ السَّيْفِ غَمْدَةً» دلالة على كون كلام الشاعر استفهامياً وإنشائياً، وكذلك يعرب الشاعر عن شعوره بالإرهاق والحسرة واليأس من اشتداد عود الحمق والخنوع للظلم، فإن الشاعر هنا يستمد بالاستفهام في أثناء الإخبار.

* يوجد تشبيه ضماني في البيت السابع، حيث أن الشاعر يرى نفسه كسيف ضاق به الذرع في أيام مظلمة ومحزنة ومشحونة بالاضطهاد كغمد السيف.

* أما الاستعارة في عبارة «دياجير المحنة»، فقد خلقت تشبيهاً جميلاً يشبه الألام الإنسانية بليل دامس ومهول، ووجه الشبه هو ضياع الطريق، ثم يقوم الشاعر بحذف المشبه به، والإتيان بالمشبه مع إحدى صفات الليل وهي «الدياجير: شدة ظلمة الليل». يمكن القول بأن مفردة «السيف» استعارة للإنسان الصاحي والباسل، أي الشاعر نفسه، و«الغمد» استعارة لأيام الشاعر المرّة.

* يوجد تشخيص واستعارة في تركيب «يد الجور».

* هناك تشبيه ضماني وأسلوب كناية في البيت الثاني عشر، لأن الشاعر قد شبه إنساناً غافلاً سكت في وجه الظلم وهو يشعر بالرضى، بمريض مصاب بالجرب، لكنه راضٍ عن إصابته بذلك المرض، وكذلك ورد تشبيه ضماني آخر في البيت الثالث عشر، لأن الشاعر يقيم علاقة بين هجوم الظلم والاضطهاد وتحمل الذلة والهوان، وبين حدوث فيضان عظيم، وقد التزم الصمت حيالها، وهذا الفيضان يشند لحظة بعد أخرى، ولا يمكن احتواؤه، وهذان التشبيهان كناية عن الظروف العصبية والأوضاع الاجتماعية والسياسة والثقافية والشعور بسخط الشاعر واستيائه من الوضع الراهن.

* يوجد مجاز مرسل لغوي في البيت الأخير في كلمة «شدّ» بمعنى «الساعد والعضد»، والعلاقة إما سببية من حيث أن العضد القوي من شأنه دفع المشكلات، أو جزئية، من حيث أن العضد هو جزء من جسد الإنسان المنتم، حيث أنه بالإضافة إلى القوة الجسمية، يتطلب قوة العقل والفحص للإنسان الواعي من أجل مقارعة الظلم.

استخدام المحسنات اللفظية بالقدر المعقول، يجعل الكلام الميت حياً، وهذه الاستعارات والكنيات والتشبيهات والصور تضاعف تأثير الكلام، وتضفي على الكلام وجهاً جمالياً. يترابط اللفظ والمعنى ترابطاً عميقاً لأجل تبليغ مهمة الشعر إلى ذهن المستمع وروحه. يقول كروتشه نيخ^١ نقلاً عن كدكني: «نحن نعتقد بأن الشعر في كلماته أوسع رقعةً منه في معانيه. فالكلمات (والأصوات التي تخلقها) ليست فقط معاني موجزة أو منطقية، بل تفوق كل ذلك، فهي فوق عقلانية^٢، أي مليئة بالأسرار وجمالية. إن الكلمة فوق العقلانية التي هي لغة فنية، تذهب إلى ما وراء العقل، وتخطب الملكات غير العقلانية للإنسان» (شفيعي كدكني، ٢٠١٢: ١٣٩). للشعر والأدبية قوة هائلة، فبإمكانهما الذهاب إلى ما هو أبعد من العقل، وجعل ما وراء العقل قابلاً للفهم ولموساً عبر التشبيهات والاستعارات، إلا أن تدافع المحسنات الأدبية أيضاً من شأنه أن يأتي بنتيجة عكسية فيقلل من أدبية الشعر.

الابتعاد عن النميمة، البخل، الحسد، والعداء للآخرين، والإسراف

إِنَّ النَّمِيمَةَ وَالْأَفْوَاهَ نُضِرْمُهَا
وَاحْذَرْ عَدُوَّكَ تَسْلَمْ مِنْ خَدِيعَتِهِ
وَاعْلِجِ السِّرَّ بِالْكِتْمَانِ تَحْمُدُهُ
نَارٌ مُحَرِّقَةٌ لَيْسَتْ لَهَا شُعْلُ
إِنَّ الْعَدَاوَةَ جُرْحٌ لَيْسَ يَنْدَمِلُ
فَرُبَّمَا كَانَ فِي إِفْسَائِهِ الرَّلُّ

وَلَا تَكُنْ مُسْرِفًا غِرًّا وَلَا بَخْلًا
وَلَا يَهْمَنَّكَ بَعْضُ الْأَمْرِ تَسَامُهُ
وَاعْرِفْ مَوَاضِعَ مَا تَأْتِيهِ مِنْ عَمَلٍ
فَبَسَّتِ الْخَلَّةَ الْإِسْرَافُ وَالْبَخْلُ
لَا يَنْتَهِي الشُّغْلُ حَتَّى يَنْتَهِيَ الْأَجْلُ
فَلَيْسَ فِي كُلِّ جِبِينٍ يَحْسُنُ الْعَمَلُ

(البارودي، ١٩٩٨: ٣/١٦٨)

كما نعلم، فإن الرذائل الأخلاقية مثل النميمة، والبخل، والحسد، والعداء للآخرين، والإسراف، تم تقديمها دائماً في القرآن والإسلام على أنها ذميمة وجالبة للمفاسد، و«النميمة بين المسلمين حرام، وبل هي من الكبائر» (النجفي، جواهر الكلام: ٢٢/٢٣). وقال الإمام الباقر عليه السلام: «محرمة الجنة على الفتاتين المشائين بالنميمة»

(الكليني، الكافي: ٢ / ٣٦٢). فهذا البارودي يدعو الجميع إلى تجنب هذه الرذائل الأخلاقية، ويرى أن النميمة نار لا تنتهي ألسنتها، ويعتبر العدا والخصومة كجرح يستعصي على العلاج، ويشجع الإنسان دوماً على كتمان الأسرار، ويجنبه الإسراف والبخل.

الدعوة للصبر والجلد

صَبْرْتُ وَمَا بِالصَّبْرِ عَارٌ عَلَى الْفَنَى
وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الصَّبْرِ أَعْدَلُ شَاهِدٍ
إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ مَعَابٌ وَلَا تُكْرُ
عَلَى كَرَمِ الْأَخْلَاقِ مَا حُمِدَ الصَّبْرُ
(البارودي، ١٩٩٨: ٢ / ٨٢)

لقد أضفى تكرار الحرفين «ص» و«ع» تأثيراً هائلاً على موسيقى الكلام. يخلو شعر البارودي من الحشو والتنافر والتعقيد اللفظي والمعنوي، ولهذا، فقد جعل الانسجام وسهولة اللفظ كلامه أخذاً وفصيحاً. إن البارودي وعبر وصف الصبر والجلد ومدحهما، يثني على نفسه في الحقيقة لامتلاكه هذه الخصيصة الأخلاقية، ويوحي للمتلقي بأنه صبور، وصبره يليق به.

العفة والحشمة

عَلَى أَنِّي لَمْ أَتِ فِي الْحُبِّ زَلَّةً
وَلَكِنِّي طَوَّفْتُ فِي عَالَمِ الصَّبَا
سَجِيَّةَ نَفْسٍ أَثَرَتْ مَا يَسُرُّهَا
مَلَكْتُ يَدِي عَنْ كُلِّ سُوءٍ وَمَنْطِقِي
وَأَحْسَنْتُ ظَنِّي بِالصَّدِيقِ وَرُبَّمَا
تَعُضُّ بِذِكْرِي فِي الْمَحَافِلِ أَوْ تُزْرِي
وَعُدْتُ وَلَمْ تَعْلُقْ بِفَاضِحَةِ أَرْزِي
وَلِلنَّاسِ أَخْلَاقٌ عَلَى وَفْقِهَا تُجْرِي
فَعِشْتُ بَرِيءَ النَّفْسِ مِنْ دَنَسِ الْعُدْرِ
لَقَيْتُ عُدْوِي بِالطَّلَاقَةِ وَالْبِشْرِ
(المصدر نفسه: ٢ / ١١)

إن العفة والتغلب على الأهواء النفسانية تُعدّ فضيلة كبيرة في الإسلام والقرآن، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أشجع الناس من غلب هواه» (المجلسي، لاتا: ٧٠ / ٢٦٥). يعتبر الشاعر نفسه نبياً للأخلاق والمودة والصدقة، ويرى أن الشعر أداة بيده لتبليغ الحكم والمواظب. لا أثر للكذب والاحتقار وتدمير شخصية الغير في أبعاد النرجسية لدى البارودي، وليس الشعر وسيلة لدى الشاعر لبلوغ أمانيه وآلية دفاعية للثأر من أعدائه، وهذا ينم عن الفكر والثقافة الغنيين للشاعر. يستخدم البارودي حياً أدبية في معرض تعبيره عن مفاهيمه المليئة بالحكم، ولا يتغافل عن المحسنات اللفظية والمعنوية. والاستعارة والكناية هما محسنان يغلبان على هذا القسم من أشعار البارودي. في البيت الثاني، نشهد استعارة تصريحية تبعية. يُعتبر فعل «طَوَّفْتُ»

استعارة لـ «ذكرت»، حيث أن الشاعر قد شبّه «استنكار الذكريات ومراجعتها» بـ «الطواف». في عبارة «وَأَلَمْ تَعْلُقْ بِفَاصِحَةٍ أُرِّي»، يوجد أسلوب كناية، وفيها إشارة إلى عفة الشاعر واحتشامه. في البيت الرابع هناك تضاد بين «برئ» و«دنس»، وكذلك هناك مراعاة نظير بين «اليد» و«المنطق»، وهذا التناسب وذاك التضاد يزيد من تأثير كلام الشاعر. هناك تضاد في الأبيات اللاحقة بين أزواج «الصديق والعدو» و«السعيد واللود» و«العسر واليسر».

العقل والحكمة والدعوة إلى التبصر

«إن الحكمة الكلامية الموجزة والفصيحة هي التي تشتمل على عظة أو نصيحة نافعة أو نظرة تفكيرية إلى الكون والحياة» (الطبال، ١٩٨٥: ١١٨). في رأي هيغل العمل الفني مأخوذ من نبضات روح الفنان والقيم المعنوية. كلما كان سمو الفنان ونزاهته أكثر، وجب عليه تجسيد أعماق الخواطر والروح بشكل أكثر أساسية. الشيء الجميل جميل حقاً فيما إذا كان معالماً للروح. الواجب الأفضل للفن الجميل هو أن يستطيع إظهار عنصره الإلهي مقبولاً، ويعمل على أدائه (انظر الى هيغل، ٢٠١٩: ٢٩-٣٥، ٦٤-٦٧). يرى نظام طهراني بأن الحكمة في شعر بعض الشعراء «يمكن أن تكون المقتبسة من حوادث الأيام» (نظام طهراني، ١٣٩٣: ١٦٩-١٧٥) إن التكرار الكثير للحكم والمواظ في شعر البارودي وتواضع الشاعر ومشاعره، قد غطت على الوجوه النرجسية للبارودي، وبذل ذلك على الهواجس الإنسانية المهمة لديه:

أَشْهَى إِلَى النَّفْسِ مِنْ حَرِيَّةِ الْعَمَلِ
أَهْلُ الْعُقُولِ بِهِ فِي طَاعَةِ الْخَمَلِ

فَمَا وَجَدْتُ عَلَى الْأَيَّامِ بَاقِيَةً
لَكِنَّا غَرَضٌ لِلشَّرِّ فِي زَمَنِ

أَدَهَى عَلَى النَّفْسِ مِنْ يَوْسٍ عَلَى تَكْلِ
قَوَاعِدُ الْمُلْكِ حَتَّى ظَلَّ فِي خَلِّ

قَامَتْ بِهِ مِنْ رَجَالِ السُّوءِ طَائِفَةٌ
ذَلَّتْ بِهِمْ مِصْرٌ بَعْدَ الْعِرِّ وَاضْطَرَبَتْ

بَعْدَ الْإِبَاءِ وَكَانَتْ زَهْرَةَ الدُّوَلِ
عَيْظاً وَأَكْبَادُهُمْ تَنْقُدُ مِنْ دَعَلِ
فَالشَّمْسُ وَهِيَ ضِيَاءُ أَفَّةِ الْمُقَلِّ
وَنَخْلَةُ الرُّوْضِ تَأْبَى شَيْمَةَ الْجُعَلِ

وَأَصْبَحَتْ دَوْلَةُ الْفُسْطَاطِ خَاصِعَةً
قَوْمٌ إِذَا أَبْصَرُونِي مُقْبِلًا وَجَمُوعًا
فَإِنْ يَكُنْ سَاءَ هُمْ فَضْلِي فَلَا عَجَبٌ
نَزَهْتُ نَفْسِي عَمَّا يَدْنُسُونَ بِهِ

(البارودي، ١٩٩٨: ١٥/٣)

في جميع أبيات البارودي نلمس أبعاد النرجسية على شكل استخدام ضمير «أنا» وضمير «ت» المتصل. إن المحسنات الغالبة المستخدمة في هذا القسم من أشعار

البارودي هي: الكناية وفيها إشارة إلى الأوضاع السياسية والاجتماعية المتردية في عصره، بالإضافة التشبيهية في تركيب «صواعق الغدر» أضفت على الشعر صبغة جمالية. بالإضافة إلى المحسنات اللفظية والمعاني الرصينة والأصيلة في شعر البارودي والتي تحمل رسالة أخلاقية وتربوية، فإن النقطة الأخرى المثيرة للتأمل هي موضوع «العاطفة» الذي يوجّه اللفظ والمعنى، وفي الحقيقة، عاطفة الشاعر ومشاعره المخلصة رأس مال ضخم يعطي للشاعر جرأة الإنشاد والوجود. يقول شفيعي كدكني في كتابه «بعث الكلمات»: «أحياناً قلما يتفق أن تساهم العوامل العاطفية لموضوع جمالي، مشتركة، في عمل بأكمله، بل على العكس وبشكل طبيعي، هناك عامل واحد يتقدم إلى الأمام ويتولى الدور القيادي، و يبدأ غيره من العناصر بالمساهمة إلى جانب الوجه الغالب، ومن خلال انسجامها تمنح العمل الفني قوة من الداخل، ومن منطلق مجابهة بعضها بعضاً، تعمل على تعزيز العمل، وتحيطه بوظائفها المختلفة. للوجه الغالب الدور نفسه الذي يحمله الهيكل العظمي للجسد الحي والعضوي المحتوى على جميع المكونات، فيقوم بدعم هذا الكل، ويدخل إلى حيز التنفيذ بالاتصال بها» (شفيعي كدكني، ٢٠١٢: ١٦١). المصدر الأول للحكمة، تجارب الإنسان وتأملاته في ماضي الكون وحاضره. بطبيعة الحال، قد تكون مصادرهما مجالات أخرى كالفلسفة والوحي والسماء والقوانين والتعاليم الدينية والقيم الأخلاقية (طليمات، ٢٠٠٢: ٢٦٠).

دور النرجسية في سياق النماذج التربوية - الأخلاقية في الشعر العربي المعاصر

يظن البعض أن النرجسية لا تعدو أن تكون بمعنى الأنانية، والشاعر النرجسي له شخصية معجب بنفسها أمسكت بالقلم للتباهي بنفسها أو بقدرتها، لكنني أعتقد بأن «النرجسية الصحية» هي السر الكامن وراء عزة النفس والمثالية، وليست حصيلتها سوى التودد والسلامية. وفقاً للدراسات التي أجريت على عوامل ظهور المشكلات الاجتماعية ونشوء شتى أنواع الجرائم، يجب البحث عن جذور الفقر الثقافي والاجتماعي وحتى الاقتصادي، لدى الذين لديهم شعور سيء تجاه أنفسهم ولا يستطيعون أن يعاملوا أنفسهم باحترام. يصطبغ هذا المفهوم في العصرين الجاهلي والعباسي غالباً بصبغة الأنانية، فكان الشاعر النرجسي، ومن خلال ثقته الكاذبة بنفسه والإسقاط النفسي، يسعى إلى كسب ثقة النساء أو القبيلة أو الآخرين. وهذا النوع من النرجسية مجرد خطأ يجرّ به الشاعر نفسه أولاً ثم غيره إلى هاوية الهلاك عبر الغرور والحسد وتدمير الآخرين واحتقارهم، ومن هنا، فإن المراد بالنرجسية ودورها البناء في الشعر الأخلاقي هو «النرجسية الصحية والأدبية». إن الشعراء النرجسيين في العهد العربي المعاصر، يتمتعون بالعزة والهدف، فقد رأوا الغرب وأجادوا اللغة والأدب وحتى المهارات القتالية، ولهذا، حين يتحدث الشاعر النرجسي

المعاصر عن الشجاعة والبسالة في معترك الكفاح، يضمّهما إلى أجواء من العاطفة والخيال والمحسّنات البديعية، فيكون شعره كلاماً واقعياً وحاملاً لرسالة أخلاقية. الشاعر النرجسي المعاصر مقارع للظلم ومتهرب من الظلم، وأهم ما يُقلّقه هو الوطنية ورفاهية الناس في عصره، ومن هنا، نلاحظ في أشعار البارودي أنه يدعو الناس دائماً إلى اليقظة والصمود، ويعتبر السكوت في وجه الظلم كتجاهل المرض وعدم المبادرة إلى علاجه. إن مفاهيم حافلة بالحكم مثل الابتعاد عن النسيمة والغيبة والكذب، وتجنب الإسراف والحسد، وامتلاك روح جهادية وحماسية، وغيرها في شعر البارودي منبعثة من ضمير متمتع بالعزة، وشعره عبارة عن ديوان أدبي بمفاهيم بديعة وسامية. بناء على ما مرّ، ففي تعريف شامل، يمكن القول بأن الشعر النرجسي - الأخلاقي، من وجهة نظر الكاتب «شعر مجيد وخزانة من الحيل الكلامية والأدبية التي تلتزم بالفضائل الأخلاقية، وتتزه عن الإباحية، والإسقاط النفسي، والغرور، والثقة الكاذبة بالنفس، وخلق الخوف والهلع لدى المتلقي، والسعي للفت الانتباه والجدابية الفاتنة، ويموج به دوماً روح التودد والحب للآخرين. وإن الشاعر ومن خلال إشداته بالمعنويات الحماسية والتباهي بامتلاكه لمكارم الأخلاق، والأعمال الرجولية، والمفاخر والبطولات، يعيد الشرف والإنسانية إلى الأذهان، ويُلبيس المتلقي زي القتال، لكي يقاتل معه الأخير في معترك الكفاح بين الحق والباطل، ويقوم بتوجيه ذهنه نحو البحث عن الحضارة والثقافة الإنسانية عبر تصوير البسالات بلغة التشبيه والاستعارة والكناية».

النتيجة

* الشعر فن كلامي ولا يعدو أن يكون جمالاً وجماليات، وذوقاً وخلقاً أدبياً، ومن هنا، فإن الجمال في الشعر يعادل الأدبية والشعور الاجتماعي والالتزام بمكارم الأخلاق.

* الشعر النرجسي الأدبي ليس مجموعة من الاستعارات والتشبيهات والصور، بل هو مزيج من القيمة الجمالية والقيمة الأخلاقية، وبالإضافة إلى مسألة أدبية الشعر، والإبراز، والخروج عن المألوف، وإضافة المعايير، فإن الثيمة والمعنى لهما دور أساسي في تعزيز المهمة التربوية - الأخلاقية للشعر النرجسي.

* يصاحب مفاهيم النرجسية في العهد المعاصر، بشكل عام، الحكم والمواظب وصحوة الفكر، ولذلك فإن دور النرجسية الصحية في تقديم النماذج التربوية - الأخلاقية في العهد المعاصر أكثر منه في سائر عصور الأدب العربي. الشاعر النرجسي المعاصر، لا يهتم بحب الظهور وفت انتباه الآخرين والتفوق على أحد، بل يحمل هموم الوطن وتهمة مقارعة الاستبداد. وعلى غرار محمود سامي البارودي، فقد تحدّث العديد من الكتاب والنقاد والشعراء من أمثال غسان الكفاني،

ومحمود درويش (١٩١٤)، وجبرا إبراهيم جبرا (١٩١٩)، وتوفيق السّيّاق (١٩٧١) - (١٩٢٣)، وإلياس خوري (١٩٤٨) في الدفاع عن فلسطين، ولهذا، نلاحظ أنه إذا يتناول الشاعر أو الناقد في العهد المعاصر، وصف المرأة، مثل عمرو بن أبي ربيعة، فذلك ليس بغرض النرجسية وبغية لفت الانتباه وتلبية الحاجة إلى لفت انتباه النساء، بل إنه يتحدث للدفاع عن حق المرأة في المجتمع، وإذا يصف الطبيعية، ليس ذلك من أجل الثناء على نفسه وتعداد صفات حميدة مثل التحمل في مواجهة مشاق البادية، بل يعتبر كل زاوية من الطبيعة رمزاً للحرية والتحرر ومقارعة الظلم. ومن هنا، فكل من الزيتون، والبرتقال، والوردة، والشجرة الخضراء، يرمزون بها إلى النهضة التحررية والفتح وما شابه ذلك من المفاهيم. في النرجسية الخاصة بالشاعر النرجسي، البارودي، تتمثل معظم المضامين في الإفاقة من سبات الغفلة، والدعوة إلى الكفاح، ومدح الشجاعة والفصاحة، ويشبه البارودي الناس في عصره إلى مصابين بمرض الجرب والذين تجاهلوا هذا المرض الجلدي، وسكوتهم هذا علامة على رضاهم عن الوضع المتردي للعصر، وإنه يظل يمدح نفسه على أنه ليس لا مبالياً كغيره، ويُفلقه المظلومون والضلالة السائدة على مجتمع. في هذه الظروف الاجتماعية والثقافية والسياسية، لا مجال لامتطاء سهوة جواد سريع، والقيام برقصة السيف، وتعداد خصال محمودة كالسخاء والتضحية من أجل التباهي، بل الهدف هو الصحة والكفاح في مواجهة الاضطهاد المسيطر على المجتمع.

* إن مفاهيم مثل الثناء على الشجاعة والبطولات، ومقارعة الفقر وتجنب الظلم، وامتلاك الروح الجهادية والاستشهادية، وعدم التعلق بالدنيا وملذاتها، والعفة والحشمة، وتجنب النميمة والكذب والإسراف، والوفاء بالعهد، والصبر والجلد، والسخاء والكرم هي من أهم مكاسب النرجسية الأدبية والأخلاقية والتي أدت إلى نشر النماذج السلوكية - التربوية في شعر الشعراء النرجسيين العرب المعاصرين. أما محمود سامي البارودي، الشاعر النرجسي الكبير في العهد العربي المعاصر، فمن خلال مدحه للفضائل وذمه للردائل الأخلاقية، وجّه نرجسيته في اتجاه النهوض بالرسالة الأخلاقية والتربوية للشعر، وحقق مفارقة جميلة متحصلة من مفهوم النرجسية والشعور بالتعاطف المخلص بالنسبة إلى وطنه وشعبه.

المصادر والمراجع

- آيتي، عبد المحمد (٢٠٠٧م)، تاريخ ادبيات عربي «تاريخ الأدب العربي»، طهران: دار نشر طوس.
- إسلامي ندوشن، محمد علي (١٩٩١م)، جام جهان بين «الكأس التي يرى العالم من خلالها»، طهران: جامي.

- سميث، جويل (٢٠٠٥م.)، **فرهنگ اساطير يونان و روم «معجم الأساطير اليونانية والرومية»**، ترجمة شهلا خسروشاهي، طهران: فرهنگ معاصر.
- البارودي، محمود سامي (١٩٩٨م.)، **ديوان محمود سامي البارودي**، حققه وضبطه وشرحه علي الجارم ومحمد شفيق معروف، بيروت: دار العودة.
- البحيري، عبد الرقيب أحمد (١٩٨٧م.)، **الشخصية النرجسية، القاهرة: دار المعارف.**
- بهورز، أكبر (١٩٨٠م.)، **تاريخ ادبيات عرب «تاريخ الأدب العربي»**، تيريز: جامعة تبريز.
- حكمت مهر، محمد مهدي (٢٠١٩م.)، **زيباشناسي هگل و حکمت هنر اسلامي «جماليات هيغل وحكمة الفن الإسلامي»**، طهران: منظمة منشورات معهد الثقافة والفكر الإسلامي.
- شميسا، سيروس (١٩٩١م.)، **انواع ادبي «الأنواع الأدبية»**، طهران: فردوس.
- شفيعي كدكني، محمد رضا (٢٠٠١م.)، **شعر معاصر عرب «الشعر العربي المعاصر»**، طهران: سخن.
- (٢٠١٢م.)، **رستاخيز كلمات «بعث الكلمات»**، طهران: سخن.
- الصدر، أحمد (١٩٩٩م.)، **دايرة المعارف تشيع «موسوعة التشيع»**، طهران: مؤسسة شط الثقافية.
- الطبال، أحمد (١٩٨٥م.)، **المنتبي: دراسة نصوص من شعره**، طرابلس: المكتبة الحديثة.
- عتيق، عبد العزيز (١٩٧٢م.)، **في النقد الأدبي**، الطبعة الثانية، بيروت: دار النهضة العربية.
- غازي، طلیمات، الأشقر، عرفان (٢٠٠٢م.)، **الأدب الجاهلي: قضاياها، أغراضه، أعلامه، فنونه**، بيروت: دار الفكر المعاصر.
- قرباني، نينا (٢٠٠٥م.)، **سيکها و مهارت های ارتباط «أساليب التواصل ومهاراته»**، طهران: تبلور.
- الكليني، محمد بن يعقوب (١٤٠٧هـ.)، **الأصول من الكافي**، ج ٢، طهران: دار الكتب الإسلامية.
- المجلسي، محمد باقر (١٩٨٩م.)، **بحار الأنوار**، ج ٧، بيروت/ لبنان: دار الأحياء التراث العربي.
- (١٩٨٤م.)، **نهج الفصاحة**، ترجمة أبو القاسم بايندة، طهران: دنياي دانش.
- موللي، كرامت (٢٠١٤م.)، **مباني روان كاوى فرويد - لكان «مبادئ التحليل النفسي في منهج فرويد - لكان»**، طهران: نى للنشر.
- نريمانى، بريوش (٢٠١١م.)، **اختلال شخصيت خودشيفتگى: پيامدها و راهبردها «اضطراب الشخصية، النرجسية: التدايعات و الإستراتيجيات»**، الطبعة الثانية، طهران: آواى نور.
- نجفي، محمد حسن (٢٠١٣م.)، **جواهر الكلام في شرح شرائع الإسلام**، ج ٢٢، طهران: إسلامية.

المقالات

- الحسماني، عبد علي، نجم، عبد الخالق (١٩٩٠م.)، دراسة نفسية لشخصية المتنبي من خلال شعره، مجلة الآداب، بجامعة بغداد، العدد ٣٧، صص ٢٤٥-٢١٤.
- راكعي، فاطمة (٢٠١٤م.)، اخلاق در شعر «الأخلاق في الشعر»، مجلة اخلاق در علوم و فنآوری، السنة التاسعة، العدد ٣، صص ١١-١.
- كلانترى، علي أكبر (٢٠٠٧م.)، شعر و شاعری از نگاه قرآن و حديث «الشعر وقرض الشعر من منظور القرآن والأحاديث»، مجلة انديشه ديني، الدورة التاسعة، العدد ٢٤.
- ممتحن، مهدي و نرجس توحيدى فر، دراسة حول نظرية الأدبية المعاصرة، دراسات الأدب المعاصر، السنة الخامسة، خريف ١٣٩٢، العدد التاسع عشر، صص ٩١-١٠٢.
- نظام طهراني، نادر، عدى بن زيد العبادى، شاعر الحمة فى الجاهليه، مجلة دراسات الأدب المعاصر، السنة الثانية، العدد الخامس، ١٦٩-١٧٥.
- هوشيار، ياسر و فيروز جريجي، ملامح الرمانسية فى شعر محمود سامى البارودى، مجلة دراسات الأدب المعاصر، السنة السادسة، صيف ١٣٩٣، العدد الثانى والعشرون: صص ٩-٢٣.
- يلمها، أحمد رضا (٢٠١١م.)، أموزهائى تعليمى در منظومة غنايى محب و محبوب (التعاليم التعليمية فى منظومة محب و محبوب الغنائية)، لسان مبین، السنة الثانية، العدد ٦، صص ١٧٦-١٥٠.

المصادر الإنجليزية

- Habermas J. (1987). The Philosophical Discourse of Modernity. Cambridge: Polity Press. P.4.
- Philosophy. Ed. BeckL. Chicago: University of Chicago press. P. 133.
- Kant I. (1949). Critique of Practical Reason and other Writing in Moral.
- Tolstoy L. (1897). What is art? Translated by: Dehghan k. (1955). Tehran. Amir Kabir Publication (in Persian).

COPYRIGHTS

© 2023 by the authors. Licensee Islamic Azad University Jiroft Branch. This article is an open access article distributed under the terms and conditions of the Creative Commons Attribution 4.0 International (CC BY 4.0) (<https://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>)

ارجاع: بروجي سودابه، مختاري قاسم، شهبازي محمود، جرفي محمد، دراسة النرجسية الأدبية في تقديم النماذج التربوية - الأخلاقية في أشعار الشعراء العرب المعاصرين بالاعتماد على نظرية «الذات» لهانز كوهوت (محمود سامي البارودي أتمودجاً)، دراسات الأدب المعاصر، السنة ١٥، العدد ٥٩، خريف ١٤٤٥، الصفحات ١١٨-٩٢.